ISSN:2509-0291
DOI
https://doi.org/10.63585/OZSP2793
Volume 11 issue 4
N:65 August 2026
جامعة الحسن الأول سطات
كلية العلوم القانونية و السياسية
مختبر البحث قانون الأعمال

الصورة بوصفها أداة للشرعنة السياسية: قراءة مقارنة في الفلسفة المسيحية والسياق العربي المعاصر

الدكتور : عبد العالي عفان
دكتور في القانون العام والعلوم سياسية

الملخص
هذا المقال يدرس مفهوم الصورة في الفكر المسيحي ونقده لدى المعارضين وما يمكن هذا النقد من إعادة فهم الصورة في حقبة العصر الوسيط بالموازاة مع السياق العربي المعاصر. فالصورة التي لطالما كانت محرمة من طرف السلطات الدينية في معظم الدول الاسلامية عكس العالم الغربي، ستعرف حضورا قويا بوصفها محرك سياسي فعلي خصوصا مع استيراد التقنية الحديثة وظهور القنوات التلفزية ووسائل التواصل الاجتماعي.
فقد شكلت الصورة ولاتزال اداة للسلطة اذ ساهمت كتابات القديس أوغستين، يوحنا الدمشقي والأكويني دورا في تأصيلها لاهوتيا، بينما أعادت كتابات ارنست كانتوروفيتش، فرانسوا غارنييه وجيروم باشيه اكتشافها في بعدها السياسي. وبذلك أصبحت بعدما كانت موضوعا للتحريم والجدل وبالموازاة مع النصوص المكتوبة إحدى اهم الوسائل لدراسة التاريخ بحيث لم يعد يقتصر المنهج التاريخي على النص فقط في التحليل الوقائع التاريخية.
هذا التحول لا يعطينا زوايا نظر جديدة لفهم التاريخ فقط بل يجعلنا نسائل الدور السياسي الذي لعبته الصورة في مختلف الحقب الزمنية عبر التاريخ من جهة، وتطور السياق السياسي العربي من جهة ثانية. بحيث يحاول هذا المقال ربط السياق التاريخي المسيحي للصورة والأبحاث الحديثة التي انتقدت استعمال الصورة، وربط هذه الأبحاث براهنية الموضوع في السياق العربي لكي نفهم أكثر استعمال الصورة كأداة لشرعنة القرارات او التضليل السياسي.
كلمات مفتاحية:
الصورة، الفلسفة اليونانية، الفلسفة المسيحية، السياق العربي المعاصر، الدعاية السياسية.

The Image as an Instrument of Political Legitimization: A Comparative Reading in Christian Philosophy and the Contemporary Arab Context

Abdelali Affane,
Doctor of Public Law and Political Science

Abstract
This article examines the concept of the image in Christian thought and its critique by opponents. This critique allows us to re-understand the image in the medieval period, in parallel with the contemporary Arab context. The image, which was historically forbidden by religious authorities in most Islamic countries, unlike in the Western world, has gained significant prominence as a real political force, especially with the development and importation of modern technology and the emergence of television broadcasting and social media.
The image has been, and continues to be, an instrument of power. The writings of Saint Augustine, St. John of Damascus, and Aquinas contributed to its theological grounding, while the writings of Kantorovich, Garnier, and Baschet rediscovered its political dimension. Thus, after being a subject of prohibition and controversy, the image,

alongside written texts, has become one of the most important tools for studying history. The historical method is no longer limited to textual analysis alone.

This transformation not only provides us with new perspectives for understanding history but also prompts us to question the political role the image has played in different historical periods, on the one hand, and the development of the Arab political context, on the other. This article attempts to connect the historical Christian context of the image with modern research that has criticized its use, linking this research to the contemporary relevance of the topic in the Arab world in order to better understand the use of the image as a tool for legitimizing decisions or for political manipulation.

Keywords: Image, Greek philosophy, Christian philosophy, contemporary Arab context, political propaganda.

مقدمة :

لا يمكننا الحديث عن الصورة السياسية دون الحديث عن استخدام الصور في الحقبة المسيحية للعصر الوسيط من طرف الملوك ورهبان الكنسية. اذ ان هذه الحقبة ستشهد حربا ما بين الداعمين للصورة iconophile والمعارضين لهاIconoclaste خصوصا في الحقبة البيزنطية التي وصل صداها الى الغرب أيضا رغم نقصان الحدة[4327]. مما شهد نشأة التنظير للصورة والحديث عنها بمعزل عن اللغة Langage والخيال imagination فقط ولكن كشيء Objet أي ان الصورة L'imageأصبحت مستقلة ولها وجود وفهم خاص لميكانيزماتها.

فالصورة كتجسيد مادي للأوحد l'Un الذي وصف افلوطينPlotin [4328]تلميذ أفلاطون ستؤثر بشكل كبير على فلسفة العصر الوسيط. بحيث ان الأثر الذي لعبته فلسفة افلوطين على الفكر المسيحي وتشكل الصور المسيحة سواء في الفضاءات العمومية وخصوصا في الكنائس، هو ما شكل قوة الصورة في تلك الحقبة. وهنا فان الحديث عن الصورة هو حديث ينقسم الى جزئين أولها التنظير للصورة التي أصل لها فلاسفة الفكر المسيحي، وثانيها نقد الصورة المسيحية التي نجدها عند مؤرخي القرن العشرين.

اذ ان الصورة في هذه الحقبة كمفهوم تفهم في بعدها الروحي Spirituel الذي تكلم فيه بإسهاب افلوطين، وبعده بسودو سيدين اريوباجيت Pseudo-Denys l'Aréopagite. اذ ان الصورة اخذت مع هادين الفيلسوفان بعدا صوفيا روحانيا مرتبط بوجود الإله الخالق، فما الصورة التي يشكلها الانسان سوى تمثل من تمثلات صورة أشملوأعمق وهي صورة الإله الذي عبره عنه افلوطين ب l'Un عبر عنه بسودو دينيس بالإله الاوحد[4329] Dieu- l'unique .

هذه النظرة للصورة كتجسيد للإله هي ما جعلت الكنائس تمتلئ بصورة المسيح من جهة أولى أي ان الإله المعنوي تجسد ماديا في الصورة، وصور الملوك مرسومة بشكل يعكس ملامح صورة المسيح من جهة ثانية أي ان الملوك هم انعكاس لقوة روحية أكبر وهي تجسيد روح الإله في صورة الملوك[4330]. اذ ان الصورة في بعدها النفسي اي الخيال Imagination ما هي سوى خيال مرتبط بإرادة عليا وهي ذات طابع كوني وكوسمولوجي مرتبط بوجود الخالق.

فاذا كانت الصورة حسب افلوطين[4331] هي المستوى الاخير من مستويات الحقيقة، فان الانسان ينظر اليها لكي يهرب من العالم المادي نحو الأوحد l'Un. غير ان الصورة هي انعكاس للانعكاس أي انها نسخة لا تشبه الأصل بل تحاول فقط تقليده فان الأوحد

4327 André Grabar – L'iconoclasme byzantin*: le dossier archéologique* – Edition Flammarion Champs Art – 2011.

4328 Plotin – Ennéades - Edition Les Belles Lettres - Version Electronique « Les classiques des Sciences sociales ».

4329 Pseudo-Denys l'Aréopagite -Les noms divins - Les Éditions du Cerf - 2016

4330 Kantorowicz, Ernst, *Les Deux Corps du Roi : Essai sur la théologie politique au Moyen Âge*, Paris, Gallimard, 1989.

4331 المصدر ذاته

Volume 11 issue 4
N:65 August 2026
ISSN:2509-0291
DOI
https://doi.org/10.63585/OZSP2793

l'Un يتجاوز كل المحاولات لجعله تمظهرا ماديا ملموسا او مرئيا. وإذا كان هذا السبب هو الذي يفسر لماذا وجب الحذر منها حسب أفلاطون فان افلوطين رغم اعترافه بان الصورة ما هي سوى محاولة لتجسيد الأوحد فان هذا لا يعتبر اشكالا لكون الانسان له فطرة غريزية نحو البحث عن الصعود الى الأعلى l'ascension spirituelle، بحثا عن الاوحد.

اما فلاسفة الفكر المسيحي فقد قاموا بربط فلسفة افلوطين بكونها اعتبرت تجسد الإله في صورة مادية هو ما يمكن الانسان من ان يصعد نحوه l'ascension spirituelle، عن الطريق التأمل في صورته بالإله المسيحي، اذ ان الصعود Émanation بالمفهوم الافلوطيني هو صعود معروف منحاه واتجاهه هذه المرة. فافلوطين عندما تكمل عن النزول نحو العالم المادي والصعود نحو الأوحد لم يتحدث عن إله معين معروف ومعرف بحيث سهلت كتابات افلوطين المهمة على الفلاسفة المسيحيين.

ففلاسفة المسيحية أخذوا فكر افلوطين وربطوه بالرب حسب تعريفهم له، غير انهم اضفو طابع القداسة أكثر على الصورة اذ انها بتجسيد الإله المقدس تصبح مقدسة لا لسبب سوى لأنها تحتوي على المقدس. فصحيح ان الانسان يعيش حياته العادية التي تكتسي طابع المدنس بلغة ميرسيا الياد Mircea Eliade4332، ولكنه في بحث دائم عن المقدس اذ ان الصورة حسب فلاسفة الفكر المسيحي هي التي تمكن الانسان من التماثل مع المقدس لأنها تعكسه.

في هذا السياق سيظهر الفلاسفة المنظرون للصورة كأيقونة Icone وكرمز Symbole بحيث شكلت كتابات القديس أوغستين Saint Augustin، يوحنا الدمشقي Jean Damascène والقديس توماس الأكويني Thomas d'Aquinالتنظير الذي احتاجه الفكر المسيحي لشرعنة الصورة، خصوصا وان سياق الكتابات تزامن مع منع استعمال الصورة في الدول الإسلامية. اما في سياقها الحديث فقد شكلت الصور المسيحية محط نقد كبير من طرف المؤرخين الفنيين من قبيل إرنست كانتوروفيتشErnst Kantorowicz، فرنسوا غارنيه François Garnier جيروم باشيه Jérôme Baschet.

فهذه الكتابات النقدية أعطت بالاستناد الى اليات تحليل الصورة فهما اخر لهذه الحقبة الزمنية وللعلاقة التي ربطت الشعب بالسلطة السياسية والدينية ابان العصر الوسيط. هذا ما يحيلنا الى طرح إشكالية عميقة حول كيف نظّر الفكر المسيحي للصورة بوصفها وسيطا للمقدّس وأداة لشرعنة السلطة السياسية، وما الذي تكشفه هذه البنية عن استعمالات الصورة في السياقات المعاصرة؟

للإجابة على هذه الإشكالية سنطرح ثلاثة أسئلة محورية:

1. كيف عرّف الفكر المسيحي الصورة؟
2. كيف استعملت الصورة لتقديس السلطة السياسية وشرعنتها؟
3. إلى أي حد تساعدنا دراسة الصورة في العصر الوسيط على فهم الاستعمالات السياسية للصورة في السياق العربي المعاصر؟

اما بخصوص المنهجية البحثية فإننا سنستعمل للإجابة على اشكالية المقال المنهج التاريخي المقارن لدراسة السياق الغربي المسيحي الذي تطورت فيه الصورة، ومقارنته بالسياق العربي الحديث الذي أصبحت فيه الصورة اذاة رئيسية من أدوات السياسة. اذ انه بالاعتماد على المنهج النوعي والتأويلي سنحاول وضع بعض الأسس النظرية التي ستخول لنا معرفة أوجه التطابق والاختلاف ما بين السياقين وابعاده المتزامنة.

بحيث سنقسم بحثنا الى ثلاث فصول يدرس أولها تطور مفهوم الصورة في كتابات فلاسفة المسيحية في العصور الوسطى. اما ثانيها فيدرس البعد السياسي لاستعمال الصورة في العصور الوسطى، والحقيقة السياسية التي ظلت مخفية وسط كتابات فلاسفة العصور الوسطى. بينما يدرس ثالثها الصورة في سياقها العربي المعاصر وما يمكنه نقد الصورة في سياقها الغربي من فهم للسياق العربي عن طريق معرفة وجه التشابه والاختلاف بين هاذين السياقين.

Eliade, Mircea, *Le Sacré et le Profane*, Paris, Gallimard, coll. « Folio Essais », 1988. 4332

ISSN:2509-0291
DOI
https://doi.org/10.63585/OZSP2793
Volume 11 issue 4
N:65 August 2026
جامعة الحسن الأول سطات
كلية العلوم القانونية و السياسية
مختبر البحث قانون الأعمال

مفهوم الصورة في الفكر المسيحي

ان الحديث عن الصورة في العصر الوسيط هو حديث عن أحد اهم المفاهيم التي قام فلاسفة ذلك العصر بدراستها بإسهاب، فالصورة عبر التاريخ الطويل للإنسانية شكلت واحد من اهم المواضيع إثارة للجدل. فما بين تحريمها ومحاربتها من جهة، وتبجيلها من جهة ثانية، ظهرت كتابات اعادت استكشاف الصورة من جديد بحيث نظرت للصورة بشكل مرتبط بسلطة نفسية عليا لدى الناس والحديث هنا عن الإله الذي تجسد في صورة انسان أي المسيح حسب اعتبارهم.

فالرسومات في جدران الكنائس ليست من فراغ بل هي نتاج تنظيرات فلسفية قام بها رواد الفلسفة المسيحية، والذين أخذوا فكر أفلاطون، وأرسطو وافلوطين كمنطلق لفلسفتهم. فالبداية كانت مع الأثر الذي تركته الفلاسفة ما بعد أفلاطون بين Néoplatonicienعلى الفلاسفة المسيحيين وبالتحديد Saint Augustin الذي سيقوم بربط الصورة مباشرة بالإله ، بحيث يعتبر أوغستين الصورة طريقة للعبور والصعود نحو الإله .

ففي كتابه les Confessions4333 يقوم أوغستين بالتنظير للصورة كجزء لا يمكن فصله عن تنظيره للثيولوجيا .فالمسيح كونه ابن الله حسب الفكر المسيحي يشكل الصورة المرئية للإله الغير مرئي. وبالتالي فان رسمه وتجسيده رغم انه مجرد تشابه Ressemblanceبلغة أوغستين لا مساواة Egalité يشكل طارقة العبور نحو اذ انه عن طريق النظر اليه يحدث التواصل معه والصورة هي ما يخول ذلك العبور وما يعطيه طابعا مرئيا4334.

فالرسام برسوماته والوانه لا يقوم بشيء سوى نسخ الطبيعة التي خلقها الإله وقام بوضعها في داخله لكون ذاكرة الانسان وخياله ليس خيالا شخصيا خاصا به، بل هو تعبير عن وجود الإله في داخله. فالصورة حسب أوغستين لا تفهم بمنأى عن قوة روحية ترمز للإله، والصور في الكنيسة لا يجب ان تعكس قوة الإله فقط بل تعكس صورة الإله نفسه فالإنسان بذاكرته وروحه ما هو سوى صورة الإله او بتعبير ادق Imago Dei4335 .

وجدير بالذكر ان كتابات أوغستين وضعت الحجر الأساس لمحاربة محاربي الصورة بحيث ساهمت في اضعاف مواقفهم. اذ ان تنظيره للصور النفسية اوما عبره عنه اوغيستين بملكات الروح de l'âme facultés، ربطه ببحث داخلي للتواصل مع صورة الإله . وما التجسيد عبر الرسم أو مشاهدة الرسومات سوى تعبير عن هذه الرغبة لكون صورة الإله متجذرة في روح الانسان فهو في بحث دائما عن التواصل معه سواء لطلب المغفرة او الرحمة او المساعدة.

في هذا الصدد يبرز اسم اخر وهو يوحنا الدمشقي Jean Damascène الذي وجد نفسه في عز الحرب على الصورة ، أحد أبرز المدافعين عن الصور المقدسةles images saintes . فالدمشقي وفي عز التدمير الذي شهدته الصور بعد أوامر الملك ليو الثالث، سيحاجج قائلا إذا كان الإله تجسد في صورة انسان أي المسيح فلماذا يجب منع تجسد المسيح في الصورة وتدمير صوره اذن.

اذ ان حجة الدمشقي الكبرى تتمثل في اعتباره ان الإله قام بالتجسد Incarnation4336 والصورة هي عبارة عن تجسيد للتجسيد، فهي تمكننا من تمجيد عظمة الإله المتجسد. لكونه اختار التجسد أي ان يصبح مرئيا فان الصور المقدسة تمكننا من اظهار المقدس وجعله مرئيا فكيف يمكن جعل الغير مرئي مرئيا ؟

بالنسبة لأعداء الصورة فان تصوير الإله هو شيء مستحيل لكون الإله غير مرئي، ولكن الدمشقي ينتقد هذه الحجة بقوله إنه غير مرئي ولكنه تجسد وبالتالي فان صورة الإله المتجسد هي بمثابة صورة للإله الغير مرئي. فلو لم يكن الإله قد تجسد لما كان للصور معنى ولكن تجسده جعل صورة غير المرئي ممكنة عن طريق صورة الجسد الذي تجسد من خلاله. اذ ان الدمشقي لا يرى

Augustin (Saint), *Les Confessions*, traduction de Patrice Cambronne, Paris, Gallimard, coll. « Folio Classique », 19934333

Isabelle Bochet - Le statut de l'image dans la pensée augustinienne - Dans Archives de philosophie 2009/2 Tome 72 , pages 249 à 2694334

Augistin idem. 4335

Jean Damascène, Le visage de l'invisible : Écrits sur les icônes, Paris, Éditions Migne, coll. « Les Pères dans la foi », 2004.4336

ISSN:2509-0291
DOI
https://doi.org/10.63585/OZSP2793
Volume 11 issue 4
N:65 August 2026
جامعة الحسن الأول سطات
كلية العلوم القانونية و السياسية
مختبر البحث قانون الأعمال

علاقة الانسان بالصور المقدسة نظرة عبادةadoration ، ولكن بنظرة التبجيل Vénération بحيث كلما تأمل الانسان هذه الصور كلما تذكر علاقته بالإله والحقيقة التي تحملها4337.

هنا تظهر الصورة كاذات تربوية حسب الدمشقي، اذ ان الصورة المقدسة بحملها للتعاليم الدينية تتمكن من رفع مستوى الايمان عند الشخص أكثر فأكثر عن طريق تعليمه لهذه الحقائق الايمانية. فمع الدمشقي ستظهر كمواد تعليمية للارتقاء بالروح، ونقل التعاليم الإيمانية، وفهم الجوهر الإله . إن التكريم المقدّم للصورة لا يتوجه إلى المادة أو الطلاء الرسم أو الخشب، بل هي طريقة يعبرها الاوفياء ليصلوا إلى الأصل المسيح، أو العذراء، أو القديسين فالأيقونة icone لا تقدس كما تقدس تمثال idole بل تبجل لكونها نافذة العبور نحو الإله 4338.

في هذا الصدد يبرز اسم تأثر بمن سبقوه وأثر كثيرا على من جاءوا بعد وهو توماس الأكويني، الذي اعتبر ان الانسان هو أكمل صورة للإله نظرا لطبيعته الفكرية لكونه يمتلك عكس بقية الحيوانات عقلا ومنطقا وإرادة. فالصورة *imago* هي عبارة عن تماثل كبير ما بين الاصل وتقليد الطبيعة العميقة التي يعكسها الاصل. فالصور الاصلية للطبيعة التي خلقها الإله تصبح عن طريق الصورة منتجة من جديد reproduite.

اذ ان قدرة الصورة على تجسيد الإله دون موازاة عظمته او Imago Dei تفهم على ثلاث مستويات بل مستويات نفسية أكثر منها مادية ملموسة. بحيث ان الأولى هي صورة الخلق **L'image de création** وتعبر عن قدرة الانسان الذهنية على معرفة الله وحبه وهي فطرية عند الانسان. اما الثانية فهي صورة العفو **L'image de grâce** التي من خلالها يحب الانسان الإله عن طريق الفضيلة رغم معرفته الغير تامة بالإله لكنه مؤمن به . اما الثالثة فهي صورة المجد image de gloire الدرجة العليا التي يصل اليها الانسان في الجنة عندما ينظر مباشرة الى الإله بعظمته4339.

فمعرفة الإله حسب توماس الأكويني تتم بالمماثلة، اذ ان توماس كان عكس أوغستين أكثر قربا للمقولات الارسطية. بحيث حاول شرح الرابطة ما بين الذاكرة الإنسانية والروح والخيال في علاقتهم بالتمثلات التي يمتلكها الانسان والتي تقوده مباشرة الى الإله . فالصور لا تفهم عند الأكويني في شقها المادي المرئي والملموس فقط، بل هي انعكاس للكرامة الروحانية للإنسان التي تخول له التعرف على الإله داخله مما يجعل تحليله للصورة مكملا رئيسيا لفكر سابقيه.

الصورة كأداة لشرعنة السلطة في العصر الوسيط:

ان التحليل الحديث للصورة في العصر الوسيط لم يقم بإفراغها من حمولتها الدينية والعاطفية، بل قام بتفسيرها في بعدها السياسي الاجتماعي. اذ ان الصورة في بعدها الديني لم تكن تعتبر أداة سياسية للسيطرة على الأذهان Esprit، على الانتماء Appartenanceوالقراراتdécision . فالى حين ظهور مدرسة النقد الفني الحديثة والتي اعادت اكتشاف قدرت الصورة على ان تكون محركا لفهم التاريخ ونفسية الشعوب في حقبة زمنية معينة، ظلت هذه الأخيرة مغيبة عن التحليلات التاريخانية والسياسية. فمع ظهور مدارس تحليل الصورة مثل المدرسة الأيكونولوجية، والمدرسة السيمائية لم يكن للتأريخ سوى ان يأخذ الصورة بعين الاعتبار كمحرك من محركات التاريخ. فبظهور مدرسة تأريخ الفن والنقد الفني والتي تشمل مختلف الفنون فان التيار الأيقونولوجيا المرتبطة بهذه المدرسة والذي يدرس الصورة على وجه الخصوص وبشكل مستقل، هو من سيطرح أسس فهم الصورة في علاقتها بتقديس وشرعنة السلطة السياسية في تلك الحقبة الزمنية.

فاذا كانت السلطة في العصر الوسيط مجزئة الى سلطة تمتلكها الملكية وسلطة تمتلكها الكنيسة في علاقتها بالشعب المحكوم، فان استعمال الصورة من طرف الملكيات ومن طرف الكنيسة هو ما شكل منطلق التحليل السياسي الذي قامت به كتابات مدرسة

Vassa Kontouma – Conticello, EPHE et IFEB, Paris tENS – Lyon. Conférence du 31 janvier 2008 La théologie de l'image selon Jean Damascène (VIIIe s.)4337
Damascène – Idem. 4338
Thomas d'Aquin, *Somme de théologie*, Paris, Éditions du Cerf, 19844339

ISSN:2509-0291
DOI
https://doi.org/10.63585/OZSP2793
Volume 11 issue 4
N:65 August 2026
جامعة الحسن الأول سطات
كلية العلوم القانونية و السياسية
مختبر البحث قانون الأعمال

التاريخ الفني للصورة. فالتحليل السياسي للصورة كان مغيبا عن تحليل السياق السياسي، لكون التأثير الأفلاطون ي على الفلسفة أثر بالسلب وقام بخلق نوع من الخذر من الصورة مما غيبها عن الكتابات السياسية.

اذ ان الكتب السياسية شرحت بإسهاب المؤسسات السياسية والدينية وقامت بانتقادها بالاعتماد على النص المقدس بشكل خاص والكتابات الجانبية لفلاسفة الفكر المسيحي بشكل عام، دون الحديث عن التأثير النفسي للصورة في شقها السياسي. وهذا راجع ايضا الى كون مفهوم الدعاية السياسية بمعناه الحديث، وكذلك علم النفس السياسي، مجالات فكرية وعلمية حديثة نسبيا، لم تتبلور إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ولذلك لم تكن حاضرة بوصفها حقولا مستقلة في الكتابات السياسية القديمة.

فمصطلح علم النفس السياسي أخذ اول مناحيه في أواخر القرن العشرين مع كتابات لوبون Lebon4340، الذي لم يتحدث عن الصورة بينما مصطلح البروباغاندا سيظهر مع غوبلز Goebbels وزير الإعلام والاتصال النازي الذي لم يكتب خطابات هتلر فقط، بل عمل على استعمال الصورة في للترويج له. اذ ان التحليلات السياسية كان جزء منها متعلق بالتنظيرات العامة مثل كتابات فسلفة العقد الاجتماعي وجزء بفن الحرب وأساليب الحكم مثل كتابات العراب ميكيافيلي والتي لم تدرج الصورة كعامل رئيسي ومحدد من محددات.

مع اعمال ابي واربورغ، والتر بنيامين ورولان بارت ستأخذ الصورة منحى عميق للغاية، اذ انها ستدرس في شقها السياسي. وإذا كان تحليلها قد ارتبط أكثر في البداية بدراسة المجتمعات الرأسمالية الحديثة، والنظم الديكتاتورية التي كانت منتشرة في العالم ان ذاك كالفاشية والشيوعية. فان الأبحاث التي قام بها إرنست كانتوروفيتش4341 في دراسته لفلسفة العصر الوسيط تعطي بعدا سياسيا للصورة في تلك الحقبة.

فأطروحته حول ثنائية جسد الملك Double corps du roi ركزت على دور الصورة كوسيط الذي يعطي الشرعية عن طريق رسم الملك بصورة المسيح انه تجسيد لإرادة الإله . اذ ان الملوك كانوا يقدمون على انهم بشر يمرضون كسائر البشر، ولكنهم في قراراتهم المتخذة خلفاء لله في الأرض وبالتالي معصومون عن الخطأ. فالملك هو ظل الله في الأرض غير ان الإله غير مرئي بينما الله فهو غير مرئي لأنه في السماء والملك هو تجسيده في الارض.

هنا فان الملك المسيحي حسب ارنست كانتوروفيتش هو ملك يمتلك جسدا طبيعيا corps naturel وهو الجسد الذي يمرض كسائر البشر، وجسدا سياسيا corps politique وهو خليفة الله في الأرض أي المعصوم عن الخطأ. فالمسيح كونه الانسان والإله في نسفه الوقت هو ما يعكسه الملك كونه الانسان وأيضا تجسيد لصورة الله في الأرض اذ انه يرى في الصورة أداة مهمة من أدوات السلطة ومحور أساسي في اللاهوت السياسي.

اذ ان هذا يحيلنا مباشرة للنقد الذي قدمه جيروم باشيه Jérome Basheتحيث قال «كانت الأمور بسيطة عندما كان بإمكان المرء أن يؤمن ببساطة بتعريف الصورة المسيحية على أنها كتاب مقدس للأميين. .4342» فالصورة ليست محايدة بالمرة، بل هي عبارة عن نظام مستقل وذو وظيفة اجتماعية محددة وهذه الوظيفة هي وظيفة ذات بعد سياسي. فهي المحرك الرئيس لشرعنة وتقديس النظام، بحيث ان الصورة لها قوة رمزية تخلق تصورات مثالية رغم تقسيمها ما بين سلطة الحكام وسلطة الرهبان أيضا الى ان الانقسام لم يكن يعني في فترات كثيرة الانقسام.

اذ انه يرى انه يجب تحليل الصورة ككائن تاريخي بحد ذاته لفهم علاقات السلطة والعقليات السائدة في تلك الحقبة. فالصورة هي نظام قائم بحد ذاته بعيد كل البعد عن أي اعتقاد انها أداة للتربية، لكون التربية هنا هي تربية سياسية لا تربية بالمعنى التعليمي

Le Bon, Gustave, *La Psychologie politique et la défense sociale*, Paris, Flammarion, 4340

Idem4341

L'image Objet par Jérome Baschet – In L'image « Fonctions et Usages des images dans l'occident médiéval ». Sous la Direction de Jérome Braschet et 4342
Jean Claude Schmitt. P7 -26.

ISSN:2509-0291
DOI
https://doi.org/10.63585/OZSP2793

للأفراد داخل المجتمع. بحيث شكلت كتابات جيروم براشيه فهما مختلفا عن الفهم الذي كان سائدا حول الصورة في العصر الوسيط، لأنه قام بعزلها عن التحليل اللغوي لكونها لغة بحد ذاتها.

هذه النظرة للصور انها لغة هي ما جعلت فرنسوا غارنيه يكتب كتابه من جزئين لغة الصورة في العصر الوسيط. بحيث ان الجزء الأول درس فيه غارنيه معاني الصورةsignification ورمزيتها symbolique ، اما الجزء الثاني فخصصه لنحو الايماءات grammaire des gestes . فالصورة لا تكتفي فقط بامتلاك معنى او رمزية بل تتجاوز هذا لكونها تمتلك نحوا خاصا بها على غرار اللغة. اذ ان الرسومات في العصر الوسيط ركزت على لغة إشارة ولغة جسد لإرسال رسائل دينية هدفها إضفاء الشرعنة على الحياة السياسة[4343].

فعمل غارنييه هو تحليل مدقق للرموز الصورية ومعانيها في شقها الاجتماعي والسياسي وأثر النفسي على الناس، اذ ان تحليلاته أوضحت كيف ان التدين والانتماء لم يكن ليكون لهم وجود بالشكل الذي وجدوا عليه في غياب قوة الصورة وأثرها النفسي. اذ ان الصورة هي المحرك الذي يربط ما بين الشعور الفردي للفرد داخل المجتمع والجماعي من جهى أولى، والجماعي للجماعة داخل إطار واحد وشامل وهو إطار الدولة من جهة ثانية.

والجدير أيضا بالذكر ان هذه الكتابات لم تنتقد الفكر المسيحي فقط بل أوضحت كيف ان السياسيين في العصر الحديث عوضوا باستعمالهم لقوة الصورة، صورة المسيح المخلص. فالصورة تحمل في طياتها بعدا نفسيا عميقا وهو الذي عبره عنه افلوطين كما اشرنا الى ذلك سابقا بـL'un أي البحث عن الإله . غير ان الإله الذي مات بلغة نيتشه لم يمت حقا، بل ثم تعويضه فقط والسياسيين هم الذين اخذوا مكانه في اذهان الناس في الأنظمة السياسية الحديثة بحيث ان مثال أوباما الذي ثم اعتباره من طرف الناخبين الأمريكيين الذين صوتوا عليه المسيح الأسود يظل الى حدود الساعة أشهر مثال[4344].

الصورة في السياق العربي المعاصر:

على نقيض السياق الغربي الذي امتاز بالايكونوفيليا iconophilie، فان الصورة في العالم الإسلامي كانت محرمة بصريح الأحاديث[4345] ابان العصر الوسيط، أي ان هذه المجتمعات كانت عبارة عن مجتمعات ايكونوكلاستية iconoclaste خصوصا في دول شبه الجزيرة العربية وشمال افريقيا. فالسلطة كانت سلطة تمر عن طريق الخطابات الشفهية لا الصور، بحيث اقتصرت الصورة على فترات قصيرة من التاريخ وعلى مناطق محدودة فقط لم تمنع الصورة كرسومات الشيعية ورسومات الهند والصين[4346].

ومع استيراد التقنية من الغرب لم يكن للصورة سوى ان تأخذ مكانا لها داخل المجتمع السياسي، أن ان السياق في الدول الإسلامي سيستسلم رغم التحريم التاريخي للصورة التي ستصبح محركا اجتماعيا ونفسيا لهذه الدول. فمع انتشار المعلومة عبر الإعلام السمعي البصري ووسائل التواصل الاجتماعي أيضا، فإننا نبتعد عن أي سياق يجعل الصورة أداة تربوية فقط ولكنها تشمل جميع الاستعمالات الممكنة كما هو حال الدول الغربية.

4343 François Garnier, *Le langage de l'image au Moyen Âge* (publié en deux tomes aux éditions Le Léopard d'Or) 1982 -1989.

4344 Pease, D. E. (2011). Black Orpheus, Barack Obama's Governmentality. ***Altre Modernità***, (Nº Speciale 9/11/2011), 1-28. Récupéré depuis Dialnet.

4345 https://islamqa.info/ar/answers/7222/%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%A7%D8%AA%D9%91%D8%AE%D8%A7%D8%B0%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%AB%D9%8A%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%AB%D8%B1-%D8%B0%D9%84%D9%83-%D8%B9%D9%84%D9%89%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%8A%D8%AF%D8%A9 تمّ الاطلاع عليه بتاريخ 28 – 06 - 2026.

4346 *زكي محمد حسن اطلس الفنون الزخرفية و التصاوير الاسلامية – الدكتور جمال محمد محرز التصوير الاسلامي ومدارسه – الدكنور ثورت عكاشة موسوعة التصوير الإسلامي ثم الاطلاع على المراجع عبر موقع* Archive Internet

Volume 11 issue 4
N:65 August 2026
ISSN:2509-0291
DOI
https://doi.org/10.63585/OZSP2793

فالجانب التعليمي موجود لكون المقررات الدراسية أصبحت مملوءة بالصور من جهة، ومن جهة ثانية فان الفيديوهات على شكل Reels أو Podcast والتي تحتوي على معلومات تثقيفية تشمل الجانب الفلسفي وتاريخي أو علمي أصبحت منتشرة كثيرا. هذا الانتشار لا يلغي كون الصورة أصبحت تستعمل كوسيلة لنشر المعلومات السياسية ونشر الدعاية السياسية أيضا، لكون الإذاعات التلفزية لا تنشر نفس المعلومة نظرا لكون كل إذاعة ترتبط ببلد وسياساته وأيضا تحالفاته الجيوسياسية.

فقناة العربية السعودية او الجزيرة القطرية، تختلف جذريا عن قناة روسيا اليوم الروسية اذ ان المعلومة في شقها السياسي وتغطية الاحداث تختلف من قناة الى قناة. وهذا ما يجعل من الضروري مساءلة المعلومات السياسية من جهة والاحتكام الى مصادر متنوعة من الصور لكي يتفادى المراء السقوط في فخ المعلومات الخاطئة التي تخدم أجندات معينة لا الحقيقة. فنحن نعيش في عصر ما بعد الحقيقة Post Truth4347 بلغة الفيلسوف لي ماكنتري Lee Mctyntry. اذ ان الحقيقة التي تقدمها الصور الإعلامية أصبحت حقيقة مصطنعة Artificiel وهذا لا يختلف في شيء عن صور العصر الوسيط.

غير انه على غرار أمريكا التي تمتلك قنوات مثل CNN ذات الميول اليساري والتي تربط فالغالب بالحزب الديموقراطي، وقنوات مثل Fox News التي يشاهدها المحافظون والتي ترتبط بالغالب بالحزب الجمهوري4348. فإن العالم العربي لا يمتلك قنوات ترتبط مباشرة بإيديولوجية أحزاب سياسية معينة مما يعني ان السياق العربي هو سياق مختلف وله خصوصيته رغم ان بنية حرب الصور هي بنية ثابتة ومشابهة لما هو عليه الحال في الدول الغربية.

فمعظم الدول في العالم العربي هي دول الأوليغارشية الحكم، أي ان الصورة ليست مرتبطة بصورة سياسي معين بل انها تستعمل لتأييد صورة العائلة الحاكمة وفي مرات كثرة يكون غيابها أي الصورة عبارة عن خلق لنوع من انواع الرهبة Sacralité تجاه الحكام. هذا الطابع المقدس للصورة مرتبط كثيرا بالتدين اذ ان رجال الدين في العالم العربي استعملوا الصورة عبر القنوات التلفزية وقنوات YouTube لنشر المعلومة الدينية كما كان عليه الحال في أوروبا العصر الوسيط.

وكما كان عليه الحال في العصر الوسيط فان بعض الشيوخ قاموا بالدعوة الى الجهاد وإسقاط الأنظمة السياسية عبر تأويلهم للنصوص الدينية واستعمال الصورة كناقل Medium لهذه التأويلات، كما كان الحال عليه في الحرب سورية. مما جعل البعض من الشباب يتأثر بهذا الخطاب4349. بل ان الباحث ومؤرخ الفن Ralph Dekoninck نشر نتائج بحثية مهمة في كتابه4350 Horreur Sacrée et Sacrilègeبحيث انه اثبت كيف تستعمل الجماعات الإرهابية القوة النفسية لصور الخوف والعنف لكي تسيطر على المشاعر بغية الرفع من الانتماء العقائدي للناس وولائهم في العالم العربي.

فحالها حال الصور المسيحية في عصر النهضة، فان رالف دوكونينك4351 اثبت كيف ان مشاعر الخوف التي روجت لها داعش استعملت الرموز او الشيفرات الغربية لغرض السيطرة على مشاعر الناس من جهة. ومن جهة ثانية فإن هذه الجماعات استعارات هذه الشيفرات لكي تنقل الحرب الإسلامية الصليبية الى بعد اخر وهو حرب الصورة، اذ ان الرسالة التي روجتها الصور لها بعد متعلق بالآخر الذي ينظر اليه من طرف هذه الجماعات بنظرة العداء، لكونه لا ينتمي الى نفس الدين ونفس العقيدة مما يعكس تعددية استعمال الصورة في العالم العربي وضرورة الحذر منها.

الخاتمة:

في الختام، وعن طريق هذا التقديم المقتضب للصورة المسيحية ولعلاقتها بالسلطة السياسية وانعكاس هذا على العالم العربي فإننا حاولنا ان نشر كيف ان الصورة في الحقيقة أداة ذات فاعلية نفسية سياسية عميقة للغاية، عكس ما قد تبدو عليه أو يتم الترويج

4347 Lee MacIntyre – Post Truth - Massachusetts Institute of Technology. 2018

4348 https://www.pewresearch.org/journalism/2025/06/10/the-political-gap-in-americans-news-sources/ تمّ الاطلاع عليه بتاريخ.2026 - 06 – 28

4349 https://youtu.be/pT_sNz6w5cE?si=TIrCYEQOdSTI-N2r - تمّ الاطلاع عليه بتاريخ .2026 - 06 – 28

4350 Ralph Dekoninck – Horreur Sacrée et Sacrilège "Image , Violence et Religion" « XVI et XXI Siècles ». Académie Royale de Belgique collection L'académie en poche – 2018.

4351 idem

Volume 11 issue 4
N:65 August 2026
ISSN:2509-0291
DOI
https://doi.org/10.63585/OZSP2793

لها كأداة للتربية الدينية أو الارتقاء الروحي فقط. اذ ان الأبحاث حول استعمال الصورة أو تاريخ الصورة لا تشمل فقط العصر القديم، بل ان النتائج النورولوجية الحديثة والأبحاث في سيميولوجيا التسويق سواء الكلاسيكي او الالكتروني في شقيه السياسي وأيضا الاقتصادي تثبت ذلك.

في هذا الصدد فان التنبيه بخطورة الصورة يصبح امرا ضروريا إذ يجب اعتمادها بشكل إيجابي أي لنشر العلم والمعرفة لا بشكل يخدم أجندات سياسية محددة. ويجب أن تكون القوانين صارمة في هذا الصدد ، لحماية المستهلك سواء في الشق الاقتصادي والسياسي لكون إلغاء الصورة بشكل كلي هو امر مستحيل. فالصورة تعمل في شقيها الإيجابي والسلبي حسب الاستعمال وان التحذير بخطورة استعمالها السلبي هو ما يجب ان يتم تدريسه، خلافا لما حاول فكر الدمشقي وغيره الترويج له.

فالصورة كانت ولاتزال أداة لنشر الدعاية السياسية، وإذا كان من المستحيل محاربة هذه الدعاية بشكل كلي، فان شرح كيفة عمل هذه الدعاية الصورة يجب ان يشمل مختلف التخصصات والمقررات والمستويات الدراسة. فشرح آليات عمل الصورة حسب ما اوضحته اعمال باحثين أمثال ابي واربورغ وامبرتو ايكو يجب ان يشكل منطلقا فكريا أساسيا لشرح آليات عمل الصورة لمختلف الفئات العمرية، والذي تشرح وتفكك اليات عمل البروباغاندا السياسية والخطاب البصري السياسي، حتى لا تبقى الصورة أداة لا واعية لتشكيل اللاوعي الجمعي السياسي.

لائحة المراجع

الكتب المعتمدة

Augustin, Saint, *Les Confessions*, trad. Patrice Cambronne, Paris, Gallimard, coll. « Folio Classique », 1993.

Damascène, Jean, *Le visage de l'invisible : Écrits sur les icônes*, Paris, Éditions Migne, coll. « Les Pères dans la foi », 2004.

Dekoninck, Ralph, *Horreur sacrée et sacrilège : Image, violence et religion (XVIe et XXIe siècles)*, Bruxelles, Académie royale de Belgique, coll. « L'Académie en poche », 2018.

Eliade, Mircea, *Le Sacré et le Profane*, Paris, Gallimard, coll. « Folio Essais », 1988.

Grabar, André, *L'iconoclasme byzantin : le dossier archéologique*, Paris, Flammarion, coll. « Champs Art », 2011.

Garnier, François, *Le langage de l'image au Moyen Âge*, 2 tomes, Paris, Le Léopard d'Or, 1982-1989.

Kantorowicz, Ernst, *Les Deux Corps du Roi : Essai sur la théologie politique au Moyen Âge*, Paris, Gallimard, 1989.

Le Bon, Gustave, *La Psychologie politique et la défense sociale*, Paris, Flammarion.

MacIntyre, Lee, *Post-Truth*, Cambridge (Massachusetts), MIT Press, 2018.

Plotin, *Ennéades*, Paris, Les Belles Lettres, version électronique, *Les Classiques des sciences sociales*.

Pseudo-Denys l'Aréopagite, *Les noms divins*, Paris, Éditions du Cerf, 2016.

Thomas d'Aquin, *Somme de théologie*, Paris, Éditions du Cerf, 1984.

حسن، زكي محمد، *أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية*. ثم الاطلاع عليه عبر موقع Internet Archive بتاريخ 20-05-2026

محرز، جمال محمد، *التصوير الإسلامي ومدارسه*. ثم الاطلاع عليه عبر موقع Internet Archive بتاريخ 26-05-2026

عكاشة، ثروت، *موسوعة التصوير الإسلامي*. ثم الاطلاع عليه عبر موقع Internet Archive بتاريخ 10-06-2026

المقالات المعتمدة

Bochet, Isabelle, « Le statut de l'image dans la pensée augustinienne », *Archives de philosophie*, 2009/2, tome 72, p. 249-269.

Pease, Donald E., « Black Orpheus, Barack Obama's Governmentality », *Altre Modernità*, no spécial 9/11/2011, 2011, p. 1-28.

Kontouma-Conticello, Vassa, *La théologie de l'image selon Jean Damascène (VIIIe s.)*, conférence du 31 janvier 2008, EPHE / IFEB, Paris / Lyon.

المو اقع الالكترونية المعتمدة

IslamQA, « تحريم التصوير واتخاذ التماثيل وأثر ذلك على العقيدة », تمّ الاطلاع عليه بتاريخ: 28 – 06 - 2026.

Pew Research Center, « The Political Gap in Americans' News Sources », تمّ الاطلاع عليه بتاريخ: 28 – 06 - 2026.

https://youtu.be/pT_sNz6w5cE?si=TIrCYEQOdSTI-N2r تمّ الاطلاع عليه بتاريخ: 28 – 06 - 2026